توازي المعنى بين الملفوظ والدلالة في رواية رائحة خبز الصباح، حفر في خفايا الزوايا لـ "عيسى مومني"

The meaning is parallel between the uttered and the connotation in the novel "The Smell of Morning Bread", engraved in the secrets of the corners by "Isa Moumni"

الدكتورة: فرّوم هشام

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف(الجزائر)

hichamferroum@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/08/29 تاريخ النشر: 2021/11/04

ملخص: تستهدف مادّة هذا البحث دائرة الخطاب والملفوظ في رواية "رائحة خبز الصباح، حفر في خفايا الزوايا" للأستاذ الجامعي عيسى مومني. تُحيل ملفوظات الرواية إلى أشخاصها وزمانها ومكانها، والتي من شأنها مساعدة المتلقي في الانتقال من المعنى المباشر إلى المعنى غير المباشر في الرّواية، وفكّ شفراتها الدلالية. وتأتي هذه المقاربة للوقوف على نص اللغة بما تمثله من متوالية من التراكيب غير المعزولة، والمفهوم المخزّن الذي يَبْنِي المعجم الذهني للنص، ليرتقي بها إلى معنى التراكيب في سياقاتها بوصفها ملفوظات ترسم الحركة وتحدّد الاتّجاه.

الكلمات المفتاحية: المعنى؛ الملفوظ؛ الدلالة؛ التداول؛ البنية؛ السياق.

Abstract: The material of this research is aimed at the sphere of discourse and articulated in the novel "The Smell of Morning Bread, Digging Into the Hidden Corners" by University Professor Issa Moumni. It refers the archives of the novel to its people, time and place, which would help the recipient to move from the direct meaning to the indirect meaning in the novel, and decode its semantic codes. This approach comes to find out the text of the language, with what it represents from a series of non-isolated structures, and the stored concept that builds the mental lexicon of the text, upgrading it to the meaning of the structures in their contexts as words that draw movement and determine the direction.

key words: the meaning; ejected; indication; Circulation; Structure; Context.

1- مقدِّمة:

رواية رائحة خبز الصباح، حفر في خفايا الزوايا لـ"عيسى مومني"؛ ملفوظ[1] حديث الأبطال فيها مملوء بالأفكار ويصارع من أجل الأفكار. ولحظة إشراق هذه الأفكار خلاصة تجارب عاشها الشاعر "عمر" في سبيل نشر قصيدته؛ مثّلت أفكاره في العالم الثقافي الأفكار التي تعبّر عن نفسها في نشاطات الإنسان المعاصر. يكشف فيها القارئ ذاته، ويعيش التزامه الاجتماعي من خلال امتداد نصيّ يمنح القارئ حبّ الحياة ويحثّه على الانطلاق. فجاءت القصيدة قراءة للبشر تُراجع الماضي بوعي، وترصد الحاضر بوعي. وكان الاهتمام فيها بالأفكار والأخلاق أكبر من اهتمام مؤرخ. الماضي والحاضر فيها يسيران معًا بهدف ترسيخ فكرة مفادها كيف يمكن التعامل مع الآخر؟

رواية تحاول أن تنطلق في سردها من أن تعدّد المراكز في التاريخ هو وليد ثبات المراكز المتقدِّمة، وأن زمن رواية "رائحة خبز الصباح " يعمل في ذاتيّة الإنسان، وفي عقليته.

ومن الأسئلة التي تشرّع اختيارات هذه المقاربة على اتساعها بين الملفوظ والذاكرة الجماعية والحضارية للمجتمع، والمؤشرات النصيّة التي من شأنها دفع المتلقي إلى ممارسة التأويل تكون كالآتي:

. ما الملفوظات في رواية "رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا التي توحي بدلالاتها المباشرة وغير المباشرة؟

. وكيّف بلور المؤلّف في رواية رائحة خبز الصباح، قضايا المعرفة بصورة مفاهيم تميّز بين الأشياء وعالم الكون؟

. وهل مفهوم التناص في العنوان الرئيس، والعناوين الفرعية قد يذكّر برواية أخرى، أو بجنس أدبي ما، أو بعصر أدبي كامل؟

. وهل أبان الاستدلال العرفاني في رواية رائحة خبز الصباح على توجه إلى جزء خاص من العقل الإدراكي الذي يجعل ردود المؤلّف تدخل كلّها في باب الاستدلال؟

. وهل يقدّم التمازج المعرفي أشياء جديدة تجعل الرؤية مفتوحة على المستقبل؟

هذا ما يمكن أن نعرضه في عمل يسائل النص، ويفك شفراته من خلال الاستعانة بداخل النص أو خارجه أو السيرورة التدليلية، ومعرفة تتوفّر على توازي بين التركيب والدّلالة.

2- دوال الملفوظ، وبنيته النحوية في رواية رائحة خبز الصباح؛ حفر في خفايا الزوايا:

إذا كان كاتب هذه الرواية يسعى إلى العثور على نسق تأليفي يعيد للكلمات حيويتها وفعلها في ضمير القارئ ووجدانه، فإن المتلقي في هذه القراءة ينطلق من المعنى في سياقاته المختلفة، وهو ما يمكن أن يوصف بالملفوظات. لذلك كشفت إجابات الأسئلة: أين، ومتى، وكيف، ولماذا؟ أن مكان الرواية هو جغرافية الأمّة الافتراضي، ومن ثم فإن الشاعر "عمر" لا يعيش بمعزل عن عالمه مما يجعل الظروف التي تحيط به لا تُخلق حسب هواه، وإنما يظهر تأثيرها في معالم الحياة كلّها إنسانا ومادة وإبداعا منذ القدم، وحتى العصر الحديث، وهذا ما يجيب عنه سؤال "أين"؟

وتأتي "متى" في أسئلة رواية "رائحة خبز الصباح" لتجعل الزمان يمتد امتداد الماضي والحاضر، ويسيران معا، وأن الماضي أشبه بلعبة القفز، كلما رجع اللاعب أكثر إلى الخلف كانت قوّة الدفع أكثر. لذلك كثر الحديث في الرواية عن جغرافية حَفَرها التاريخ، وراية رفعها الأجداد، وأبجدية أضاءت الدروب، وقصيدة موازية لرهبة الحياة في كل زمان منذ دولة بني عبد الواد، ومرورًا بالعام الذي طُرِد فيه العرب من الأندلس عام 1492 م بما يمثله ذلك التاريخ من شؤم، وتوالت الأحداث حتى ثورة التحرير الجزائرية الكبرى، وثورات التشييد والبناء بعد الاستقلال.

كما يمثّل سؤال "كيف" في رواية "رائحة خبز الصباح" مفتاحا من مفاتيح النفس في معرفة الحقيقة، "كيف يتواصف الناس بالألوان، ويقولون فلان أبيض اليد كناية عن حسن التسيير، وعلان صُفُر الوجه إشارة إلى الضعف أو المرض، وغيرهم حُمُر، وهكذا صارت بعض الألوان إشارة للون السياسي، وإشارة إلى لون القصيدة"[2].

أما سؤال "لماذا" في رواية "رائحة خبز الصباح" فكما هي تأخذ إعرابها على أوجه مختلفة، فهي تفتح للكلام ليكون حمّال أوجه فيقذف بالعلامة من موقعها التركيبي إلى عالم جديد من الدلالات التي توفرها سياقات النص، ولماذا لم يستطع الشاعر عمر نشر قصيدته في زمن العولمة وكل الوسائل متاحة لذلك. ومن ثم صار لسان الحال يردّد: "وا أسفاه على قصيدتي؛ الهواء الوحيد الذي يصلح للتنفس والأجنحة التي تحملني إلى حيث يريد قلبي، وعقلي، وروحي، ووجداني. كيف لا أجد قصيدتي وسط هذا الركام وهي تُحاكي ما تقوم به أجهزة الرصد التي ترقب تركيبة المجتمع وهو يتغيّر عبر السنين كما ترقب تغيّر ديموغرافيته بحثا عن مفتاح النور وسط الجدران المظلمة"[3].

وهكذا تكون هذه الملفوظات الأكثر بساطة تنطوي على إيحاءات توحي بدلالات أخرى تضاف إلى دلالات مباشرة عن سبب عدم نشر قصيدة الشاعر "عمر" على الرغم من أنه وهب للقصيدة ما

يليق بقامتها ورسالتها وما يليق بها فكان لها ميلادا ومعنى ووعيًا أبهج أصدقاءه مروان، وخالد، والصحفي أحمد.

2. 1- المؤشرات النصيّة وغير النصيّة في رواية رائحة خبز الصباح:

لقد اتخذت رواية "رائحة خبز الصباح، حفر في خفايا الزوايا" من الأسلوب الرمزي وسيلة، تظهر في صورة القصيدة بما تمثله من ثقل بكل أبعادها لهذا كانت "مشكلة القصيدة في اعتقاده أنها مهمّة، إنها وطن بكل مقومات الوطن، فهي تُغذي الأمل وتنعش الحلم، وتحكي مسرّات الإنسان ومكابداته على اختلاف طبيعتها وتلاوينها، كما تجمع المتفرّقين نحو هدف واحد، وتُضيء السجون، وتصقل التجربة ولو كانت مرّة."[4]. ومن ثم تدفع المؤشرات النصيّة وغير النصيّة القارئ إلى ممارسة التأويل ليقف على العوامل التي يرى أنها أساسية في سير عملية التأويل ذاتها.

فالقصيدة بمفهومها المعجمي هي سبعة أبيات من الشعر فأكثر، ولكن بمفهومها النصيّ في رواية "رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا" تمثّل مسار الحياة كلّها إنها الروح التي تسكن الإنسان في هذا الوطن، والأمل الذي يحدوه، والمشاعر التي تحرّكه. وهذا التأويل الذي يعتمد على السياق التركيبي، أي تحديد معنى الملفوظ يتم في التأويل من خلال الرجوع إلى السياق المباشر، وتحديدا إلى الخطاب الذي يكون الملفوظ جزء منه.[5] ويسميه تودوروف بالتأويل التركيبي، وهو ما نقف عليه في مفهوم القصيدة في رواية رائحة خبز الصباح، حفر في خفايا الزوايا، أي فهم الكلام بوصفه نتاجا لمتكلِّم محدّد، وليس كما في التأويل النحوي فهم للكلام بوصفه جزءا من اللّغة.[6]

2.2- بنائية المعجم في رواية رائحة خبز الصباح، حفر في خفايا الزوايا:

لقد مثّل الشاعر "عمر" في رواية رائحة خبز الصباح؛ العقل الباحث عن الحقيقة، كلامه حديث العقل لذلك يقول: "وإذا لم تُعقّل القوّة جاء الاختلاف الذي سببه الانتقال من منطقة التعقّل إلى منطقة التصوّر، ولو اقتنع المرء بتعقّل العقل لوجد أنه أينما يُوضع اللفظ لا بد أن يكون المعنى متضحا"[7]. وقوله: "ماذا سيكتب التاريخ عن عقل عشعشت فيه فكرة علوية عالم المال على ما سواه، وشركات ليس لها أرواح حسّاسة، ومصادر أبطال شخصياته الرئيسية رهينة بحقيقة الدينار والدرهم؟"[8].

إنّه يجرّب، ويلاحظ، ويرى، وينظر في مثل قوله: "ومراحل العقل في العلم التجريبي؛ ملاحظة، ثم تجربة معملية في المخبر، ثم حقيقة علمية، إذا، هي كلّ تلك الأمور التي نراها، والتي انطلق بها الإنسان في تعميره للكون"[9]، وقوله: "وخارج سطوة الفصول وتقلباتها يرقب الشاعر عُمر جري

نهر البشر بفضولهم، وصحوهم، ومطرهم ليرسم ظلال الحقيقة أو شكلها الذي يظهر له من خلال ضيق الأزقة والمساحات العامة، وحافلات النقل، وعند بائعي الفواكه والألبسة، ومؤسسات تشغيل البطالين، ومكاتب تسجيل الناجحين في شهادة البكالوريا، ومصالح الناس المعطلة في الإدارات، وتنطع بعضهم في القول الذي أعاق وصول الرسالة"[10]. وقوله: "ما أكثر الأفكار التي تصب عليه هذه الأيام من السماء، وما أكثر الأفكار التي تستغفل بعض العقول فتدفعها لتقتل أفكارها النضالية التي قاومت الهيمنة وطردت الأعداء من هذه الديار"[11]. وقوله: "سرح بخياله بعيدا، وحين عاد اكتشف أنه يعيش في زمن صارت فيه العملة الجديدة: الكلام بالنقود ومن قبل كان الرّجل إذا طلب من محاوره مشاركته في الحديث يقول له تكلّم فإن الكلام ليس بالنقود"[12]. كما يستنتج، ويتكيّف مع المواقف الجديدة، ويخطأ ويحاول الكرّة في قوله: "بدأ الشاعر عمر يتفلّت محاولا الفرار من الإجابة وهو يقول: هذا زمن غابت فيه الأسئلة مما يوهم بأننا نمتلك الحقيقة. لقد قلّت مثل هذه الأسئلة في تاريخ الأمّة حين كانت الهيبة وافرة، والأمّة قويّة، أما الآن وقد استجبنا لنداء التعب، والتغيرات شرقا وغربا تستوقف الأنظار، والإجابة عن الأسئلة كلاما جميلًا لا يتقدّم بالأمّة قيد أنملة"[13]. وأسئلته غير متناهية، في مثل قوله: "ماذا خسرت الأمّة بانتهاء القصيدة؟ ولماذا يُطلب منها في زمن الشعر التّنازل عن القصيدة؟، ولماذا قلعة الشعر أبوابها موصدة، والحرّاس أمام الأبواب؟"[14].

وهكذا جاءت رواية "رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا لـ"عيسى مومني " تبحث في ما هو عليه واقع الحياة، والاجتماع، ومنطق المسائل، والآخر المستفيد و"الأنا" المغيّب.

إنها طريق شاقّ يقطعها الشاعر "عمر" حاملا على كاهله ثقل الماضي، وتثبيط الواقع ومعاكساته، وهو ما تلخصه العناوين الفرعية في الرواية: تقرّحات الروح، ميلاد قصيدة، كلمات يفهمها العقل، حين يناسب الاستفهام الحال، وفرقتنا القصيدة، وعي القصيدة، فطرة العودة إلى القصيدة، الآخر المستفيد و"الأنا" المغيّب.

ولكي يكون للحياة معنى فلا بد للقصيدة أن تجد طريقها إلى النشر. وهو ما تعرضه هذه الرواية من "حالة مدنية وحضارية وثقافية واجتماعية، ووضع إنساني شامل"[15]. وهو ما أعطى للرواية ثقلها الذي عرفته القصة الطويلة في حي بن يقظان حيث أصبح "تظافر الفنون خصيصة تميّز العصر وليس مجرد موضة زائلة"[16]، وهو ما توفّر في رواية رائحة خبز الصباح من مجال معرفي للعصر، وتساؤلاته التي تؤرق في مناحي مختلفة من الثقافة، والسياسة، والاجتماع، كما تكشف أن الكتابة ليست وليدة الخيال فقط، وإنّما وليدة المعايشة.

3.2- البنية اللغوية للنص ودورها في سيرورة التأويل:

لقد أخذت رواية رائحة خبز الصباح في بعض جوانبها من الرواية العرفانية، وكان التموقع في هذا الجانب يمثّل كل احتمال لكل متغيّر يكون حسب مخزون الشخصية المتلفظة لذلك يأتي الخطاب متفق مع التصورات والرؤى كما في قوله: "يجمع أصدقاءه من حوله، وينادي كل واحد باسمه، ويعرض عليه قضية ثم يصدر حكمه عليها. كأنّ صورة ذلك المشهد متمثلة فيمن ينادي باسمه، فيقول: اسمع يا أحمد لقد تحوّل الإنترنت،هذا الاختراع الأمريكي سنة 1969 بهدف توزيع المعلومات العسكرية الاستراتيجية وتأمينها من أية ضربة نووية محتملة .. فماذا أعددنا لحماية أنفسنا من الخطر"[17]. و يعمّق الفهم حتى يستبين الطريق الصحيح، فيقول: "انتبه يا خالد لقد انحصر التراث العربي في تراث الانحطاط وصار كل شيء يؤخذ من عصر الضعف، إسلام ما بعد الموحدين، ضوابط للغة عربية، ما بعد القرون الخمسة الأولى، ذهنيات ثقافة الاستعمار، وهكذا اختزلت مفاهيم التراث، والشعب، والوطن في تلك البقايا الباهتة من موروثات عصور التراجع"[18].

ويضرب الرأي بالرأي ليتضح وجه الصواب، فيقول: "فكّر جيّدا يا مروان، إن سنن الكون مطردة، ومنذ أن وعى الإنسان محيطه وقوانين السيطرة على الكون، تلبس بدرجة عالية من الانتباه بفضل الفيوض التي يحوزها، فيحافظ على محركات الأقراص التي تفكّ شفرات أبجديات القراءة المنهجية خوفا على القصيدة أن يختطفها شذّاذ الأفاق، وتسجّل القضيّة باسم مجهول"[19].

وهكذا تأتي النتائج أمامه كأنها حقائق واضحة تكشف عن البنية اللغوية للنص في سيرورة التدليل، أي في مساعدة القارئ في الانتقال من المعنى المباشر للنص إلى معناه غير المباشر تؤكد حقيقة مهمة في الدلالة والتأويل لتجيب عن جملة أسئلة وليدة الركام المعرفي الذي يزدحم به النص، فيقول: "لماذا انتحر خليل الحاوي عندما احتلت بيروت، بينما استطاع ابن خلدون أن يقابل "هولاكو" عند أسوار دمشق المحاصرة؟ ولماذا انتحر إنسان (نيتشة) وكان مغرقا في صناعة البديل السرمدي والإنسان الأعلى، بينما انتصر إنسان (بيغوفيتش)، وهكذا لم يبصر خليل الحاوي الأسباب، وأبصرها ابن خلدون. كما انصب بحث (علي بيغوفيتش) في حوار الإنسان والحياة على دلالة الروح واستعرضها بكثافة عبر حشد منطقي، وموضوعي في كل دلالتها اليقينية على وجود الآخر غير المادة والموجد الخالق"[20].

ومن ثم يتحدّث الشاعر عمر، ويناقش، ويستدل في كل هذه الخطابات التي وردت في رواية "رائحة خبز الصباح"، فكانت ثقافة التعدّد " أجهزة عرفانية بقدر ما هي أجهزة تلفظ"[21].

3- السياق المعرفي في رواية رائحة خبز الصباح:

إن المتأمل في رواية "رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا" يجد تمازجا من التآلف بين العقل والنص، وصورة الثقافة الواسعة التي يحملها النص، مما يوفر له استدلالات قوية.

1.3- التآلف الحاصل بين العقل والنص:

ويظهر هذا التآلف الحاصل بين العقل والنص في ورود الكثير من العبارات التي تخاطب العقل، وتفيض بصياغات محكمة بين التركيب والدّلالة، فجاءت منظومة الكلمات المعرفية تستهدف وصف مقدِّرات الذهن البشري وقدراته من لغة وإدراك، في مثل قوله: "اللحظة مضيئة وكاشفة، وحقل الكلام يمتد إلى مداه، والقصيدة نهبت منه كل محفزات الراحة، وكدستها على رأسه"[22]. وقوله: "لقد تمّ ضبطه في كثير من الحالات، وهو يحاول التّسلل إلى منظومة قوانينها"[23]. وقوله: "اتّسعت له الرؤية، فانفتح له باب الرأي مجتازا عرج الفصاحة"[24]. وقوله: "يشرح الإشكال الفكري الذي يجعل القصيدة تهمة، وتأتي ردود الأفعال المستعجلة، والمتأنية على لسانه بدرجة عالية من التأمل"[25]. وبذلك تقدّم هذه العبارات بتوازنها بين التركيب والدلالة، ومقولات الأحوال الذهنية التي يحيل عليها علم النفس انطلاقا من الدور الوظيفي المنتظم للمسار المعرفي.[26]

وهكذا جاءت منظومة مفردات "رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا" تستهدف مقدّرات الذهن البشري وقدرته من لغة وإدراك. وأصبح الخطاب في رواية رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا أشبه بفضاء ذهني علاقة اللغة فيه بالمعرفة أوسع، فجاء "موقع الاستعارة ليس في اللغة على الإطلاق، وإنما في الكيفية التي نُمفْهِم بها مجالا ذهنيًّا وفقا لمجال آخر"[27].

وبذلك أسكت التركيب في هذه النماذج لغة العواطف، وشكّل مقولات ذهنية تُساهم في إنتاج مفاهيم جديدة للمعرفة، برز فيها مدّ الوصل بين المفاهيم والمدركات مدًّا استعاريا انطلاقا مما هو ماديّ نحو ما هو غير ماديّ؛ الرأي ينفتح كما ينفتح الباب، والكلام نسق من المعرفة المعممة يسوق المتكلّم على منواله، والأمر الذي يفكّر فيه الإنسان يأخذ من راحته، ويثقل رأسه. وهي نماذج سبق عرضها في العبارات السابقة: انفتح له باب الرأي مجتازا عرج الفصاحة، والقصيدة نهبت منه كل محفزات الرّاحة وكدستها على رأسه. وهي نماذج من المعرفة "متجذرة في التجربة الحسيّة والاجتماعية والثقافية"[28].

2.3- صورة الثقافة الموسوعية في رواية رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا:

تقاطعت معارف كثيرة، في رواية رائحة خبز الصباح، تستنطق الغائبين والمغيبين من التاريخ، ويستحضر الجانب الفلسفي، والنفسي، والاجتماعي لهم. وهذا ما يقرّه الدرس اللساني الحديث في

الغرب "باعتماد مقاربات متعدّدة الاختصاصات، فنجد المصنّف الواحد يتعاضد على صناعته اللّسانيّ، والرّياضي، والفيزيائيّ، والمعلوماتيّ، والمنطقيّ"[29]. وهو ما توفره هذه الرواية الغنية بأخبارها، ووثائقها، وتفحصها لمشكلات الإنسان المعاصر، ومقارنتها بين فلسفة وأخرى كما ورد في قوله: "بدا له الأمر ألا تشابه بين اللحظتين؛ إن الدلالة اليقينيّة التي تمسك بها إنسان (بيغوفيتش) على قصة من أوجد الروح، وإلى أين منتهاها؟ هو حديث مقنع وسهل، وعميق لكل طالب حقيقة، بينما كان حرب إنسان (نيتشة) لروحه من داخله سببا في هزيمة فلسفته التي لم تقنع الذات ولا العالم"[30].

كما يستحضر الرمزي في مثل الحديث عن "سمك السلمون" ذلك الحيوان الذي يضع بيوضه في مكان، وحين تفقص تعود إلى موطن الآباء الأصلي وبعكس سير المياه، فيقول: "يا سمك السلمون إنك تحترف الغرق، ويا ماء النهر الذي يجرف كل شيء لماذا لم تستطع أن تعيق مسار العودة، أم أن الفطرة لا يحد من هُداها أي شيء؟ كيف لم يستطع الماء أن يجرف ضعفك ويكسر عنادك، ويقهر عزيمتك، وكل الأمثلة الشعبية تحذر من الماء وخطر الماء"[31].

وهكذا جاءت رواية خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا في علاقتها بين الثقافة والذهن كأنّها بحث في ما به يدرك الإنسان الأشياء والأحداث والتجارب في محيطه فَيَتَمَثلها"[32]. وهي صورة للثقافة الموسوعية التي تستحضر الفلسفي، والنفسي، والاجتماعي، والرمزي.

4- الوقائع التناصيّة في رواية رائحة خبز الصباح:

ويظهر في التداعي الذي يطال ألفاظا أخرى في الرواية أو تذكّر بنص آخر، أو بجنس أدبي كامل، لذلك تميّز العنوان بقوّة النجاعة التي يُتوصّل بها إلى الزيادة في المعرفة، ومن ثم يُحيل على الرواية العرفانية.

وجاءت فلسفة الرواية منصبّة على النّظر في الكلّيات المجرّدة، والتدرّج في مراتبها إلى فضاء العقل الفسيح. وهذا ما يظهر في العناوين الفرعية للرواية: تقرّحات الرّوح، ميلاد قصيدة، كلمات يفهمها العقل، حين يناسب الاستفهام الحال، وفرّقتنا القصيدة، حين تهاجر القصيدة، وعي القصيدة، فطرة العودة إلى القصيدة، الآخر المستفيد والأنا المغيّب. وهي عناوين تمثّل نموذج الفكرة، وصفاء شبكة العلاقات الإنسانية في عفويتها. وخطّها الافتتاحي، كما يظهر في أول عنوان فرعي يتوخى الهدف البعيد الذي لا يقبل فيه الشاعر عمر بواقعه البئيس. وروح القصّ الذي دار بين الشاعر "عمر" وأصدقائه مروان، وخالد، والصحفي أحمد؛ يطرح قضايا مميّزة في مجرى التاريخ الجماعي، ويخاطب الوجدان والمعرفة والمخيال الذي تزدحم به شؤون الحياة المعاصرة. وهكذا مثلت الإحالة

العرفانية طبيعة كميّة نصّ رواية "رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا"، يمكن أن يذكر بنص آخر أو بجنس أدبي كامل.

1.4- حقل التناص في رواية رائحة خبز الصباح:

ويحتل مكانا يقع في طرق الحقل الرمزي، وقد يتجاوزه أحيانا. كما يظهر في (سمك السلمون) ذلك الحيوان الذي يهاجر إلى مكان بعيد، ويضع صغاره هناك، ثم تهتدي صغاره في عودتها إلى موطنها الأصلي عكس مجرى النهر. ويظهر التدليل الرمزي في العنوان الفرعي (فطرة العودة إلى القصيدة) فيقول: "حافز كبير يدفعني لأرى قصيدتي وهي تُقرأ، تُقاوم التيارات القوية وتغالب الأمواج المتلاطمة على كل شاطئ كثعابين الماء تعود أدراجها وتجد طريقها إلى الشاطئ الذي جاءته منه أماته. فسبحان من قدّر فهدى"[33]. وهي إشارة إلى فطرة العودة إلى القصيدة كما يهتدي سمك السلمون في رحلة عودته إلى موطنه الأصلي.

2.4- التّداعي الذي يطال فكرة أو حادثة:

وهو طبيعة نوعية يمتدّ فيها الإيحاء من الإدانة كما هو في الصورة الساخرة إلى الثناء المتضمّن في المحاكاة، وهو ما يظهر في حديث الشاعر "عمر" عن قرية الملح التي سرقت من مسرحيّة العاصفة لشكسبير، ويكشف عن نعت الآخر بأنه نموذج للإنسان المثقّف والمتنوّر، فهو بنعت "الأنا" المغيّب بأنه شخص لا يجدي نفعا. إنه غير قابل للتعلّم، فهو فوضوي، ومتمرّد، ومُتعصب.."[34]. وبذلك تشابهت سياسات قرية الملح مع ما ورد مسرحية "العاصفة" لشكسبير. وهي رؤية متعالية مبنية على ثنائيات ضدية.

5- خاتمة:

رواية "**رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا**" ملفوظ دلالي وفّر الحوار الذي دار بين أبطاله كل شروط التواصل، وأبان عن الواقع الاجتماعي في الاستعمال، فحقّق حديث التعدّد الثقافي، والاجتماعي، والسياسي كمظهر من مظاهر الاتجاه العرفاني.

ومن ثم قامت الرؤية الدلالية في هذه الدراسة على الأوائل الدلالية المقصود بها وحدات اللغة، وجاء البعد الملفوظي ليفتش عن المعنى من ناحية السياق والاستعمال ومقاصد المتخاطبين.

6- قائمة المراجع:

1. الأزهر الزناد، نظريات لسانية عَرفنية، الدار العربية ناشرون، دار محمد علي للنشر، منشورات الاختلاف، د.ت.
2. تودوروف، الرمزيّة والتَّأويل، ترجمة إسماعيل الكفري، دار نينوى، سورية، الطبعة الأولى 2017.
3. جورج ليكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة طارق النعمان، مكتبة الإسكندرية، 2014.
4. صابر الحباشة، اللغة والمعرفة رؤية جديدة، دمشق عاصمة الثقافة العربية، سورية، الإصدار الأول 2008.
5. صابر الحباشة، غواية السرد، قراءات في الرواية العربية، دار نينوي، سورية، 2010.
6. صابر الحباشة، مسارات المعرفة والدلالة، كنوز المعرفة العلمية، الطبعة الأولى، 2011.
7. عيسى مومني، رائحة خبز الصباح، حفر في خفايا الزوايا، المعارف للطباعة، 2018..
8. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، الطبعة الأولى،

7- الإحالات:

[1]- في حالة الخطاب، لم تعد قضية جُمل فقط، كما هو الأمر في حالة اللغة، وإنّما قضية جُمَل ملفوظة، أو بصورة أكثر اختصارًا، قضية ملفوظات" انظر: تودوروف، الرمزيّة والتَّأويل، ترجمة إسماعيل الكفري، دار نينوى، سورية، الطبعة الأولى 2017، ص32.

[2]- عيسى مومني، رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا، المعارف للطباعة، عنابة 2018، ص66، 67.

[3]- م ن، ص19

[4]- م ن، ص24.

[5]- تودوروف، الرمزيّة والتَّأويل، ترجمة إسماعيل الكفري، دار نينوى، سورية، الطبعة الأولى 2017، المقدِّمة، ص28.

[6]- م ن، ص ن.

[7]- عيسى مومني، رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا، ص30.

[8]- م ن، ص31.

[9]- م ن، ص35.

[10]- م ن، ص32.

[11]- م ن، ص18.

[12]- م ن، ص16، 17.

[13]- م ن، ص26، 27.

[14]- م ن، ص27.

[15]- صابر الحباشة، غواية السرد، قراءات في الرواية العربية، دار نينوي، سورية، 2010، ص19، 20

[16]- م ن، ص9.
[17]- م ن، ص150، 151.
[18]- م ن، ص152.
[19]- م ن، ص ن.
[20]- م ن، ص153ن 154.
[21]- صابر الحباشة، مسارات المعرفة والدلالة، كنوز المعرفة العلمية، الطبعة الأولى، 2011، ص51.
[22]- عيسى مومني، رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا، ص13.
[23]- م ن، ص14.
[24]- م ن، ص15.
[25]- م ن، ص30.
[26]- صابر الحباشة، اللغة والمعرفة رؤية جديدة، دمشق عاصمة الثقافة العربية، سورية، الإصدار الأول 2008، ص9.
[27]- جورج ليكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة طارق النعمان، مكتبة الإسكندرية، ص7.
[28]- الأزهر الزناد، نظرية لسانية عَرْفَنِية، الدار العربية ناشرون، دار محمد علي للنشر، منشورات الاختلاف، د.ت، ص113.
[29]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، الطبعة الأولى، 2007، ص46.
[30]- عيسى مومني، رائحة خبز الصباح حفر في خفايا الزوايا، ص155.
[31]- م ن، ص176.
[32]- الأزهر زناد، نظريات لسانية عَرْفَنِيَة، ص21.
[33]- عيسى مومني، رائحة خبز الصباح، حفر في خفايا الزوايا، ص161.
[34]- م ن، ص199.